الرومانسيّة في القرون الإسلاميّة الأولى :

وفي القرون الإسلامية الأولى نلمح العديد من التجارب الرومانسية في غزل جرير وخمريات الأخطل ومن إليها ، إلا أنَّ تجربة عمر بن أبي ربيعة قد ما تنطوي على قليل أو كثير من الرومانسية فهو لم يكن من أصحاب العواطف الثابتة التي صحبت الرومانسيين .

ولابن الرومي - في العصر العباسي - إحساسٌ بروح الطبيعة أكثر من سواه وكثيراً ما كان يبثها همومه ونواياه ويتحد في وحدة حيَّة عميقة .

يقول في موت والدته :[١]

---

١ الرومانسية في الشعر الغربي والعربي .

وَأَظْلَمَتِ الدُّنْيَا وَبَاخَ ضِيَاؤُهَا

وَشَمْسُ الضُّحَى حَيْرَى عَلَى القُمَمْ

وَأَبْدَى اكْتِئَاباً كلُّ شَيْءٍ عَلِمْتُهُ

وأَضْعَـافَ مَـا أَبْـدَاهُ مِنْهَا مَا كُتِمْ

كَذَاكَ أَرَى الأَشْيَاءَ وَهْماً وَهِمْتُهَا

نَهَاراً وَأَضْغَاثُ حُلْـــمٍ حُلِـــمْ

فهذا إحساس بعقم الوجود من خلال ضوئه ، والشمس ذاتها مشرقة إلا أنها حائرة فوق القمم ، وهذه الحيرة مستمدة من ذات الشاعر ، وقد ارتسمت على محيا الشمس ، وللشمس بُعدٌ آخر هو الحياة كلها ، حياة الشاعر ، وحياة الناس ، والوجود كله كئيب .

وفي النهاية يُخيل إليه أنَّ الأشياء موجودة ومفقودة ، إنَّه لا يرى الوجود بل اشباحاً واهمة وهو لا يحيا في واقع العالم بل في كوابيسه .

وللبحتري قصيدة في بركة المتوكّل تقع في مجال التجربة الرومانسية وكان البحتري أدنى الشعراء لهذه التجربة لأنه كان يتقبل الأشياء بانفعاله الذي لم تروِّضه الحضارة ولا العقل كابن الرومي والمتنبي ولقد تهوَّل أمام أعجوبة الحضارة فحينما شاهد بركة المتوكل تلهَّف غاية التلهف وجعلها الأولى والبحر ثانيها ، ولا شك أنَّ في ذلك نوعاً من الغلو المأثور ، إلا أنَّ الشاعر يبدو وكأنَّه صادق في تهوله من فتنة الحضارة وقدرتها على تجاوز القدر الإنساني الأليف والحدود التي وقف عندها البدائي الأوَّل .

يقول البحتري في وصف بركة المتوكل : [١]

يَا مَنْ رَأَى البِرْكَةَ الحَسْنَاءَ رُؤيتُها

والآنســاتِ إِذَا لَاحَــتْ مَغَـانِيهَــا[٢]

---

[١] الأدب والنصوص للصف الثانوي ١٩٨١ ف ص ١٣٨ .

[٢] المغاني : جمع مغنى وهو المنزل .

وَحَسْبُهَا أنَّهـا في فَضْـلِ رُتْبتِهَـا
تُعـدُّ واحـدةٌ والبحـرُ ثانيهَـا
كأنَّمَـا الفضَّـةُ البيضـاءُ سائلـةٌ
مِـنَ السَّبـائِكِ تجـري فـي مَجَارِيهَا[1]
إِذَا النُّجُـومُ تـراءتْ في جَوَانِبِهَـا
ليلاً حَسِـبْتَ سمـاءً رُكِّبَـتْ فيهـا
مَحْفُوفَةٌ بريـاضٍ لا تـزالُ تـرى
ريـشَ الطـواويـسِ تَحكيـهِ ويَحْكِيهَـا[2]

كذلك فإنَّ وصف الربيع لأبي تمَّام قضية جدلية بين الصحو والمطر ، وقد حاول أن يعثر علي سبيل لتأليف الأضداد في الوجود ، وأبو تمام أحسّ بقليل أو كثير من فرحة الرَّبيع وخيل إليه أن بهجة الربيع تكفي الإنسان عمّا دونها ، وأنَّ الإنسان تخلص من

---

[1] السبائك : جمع سبيكة وهي القطعة من الفضة أو نحوها .
[2] تحكيه : تشبهه .

عاهاته معها، فلم يعد يطلب رزقاً وعيشاً ولم يعد تمتهنه الضرورات والحاجات وعاد يكتفي من الوجود بأن يشاهده ويبصر فتنته وروعته.

وتلك تجربة رومانسية عميقة من إحساس الشاعر بالفرح الذاتي ، ومن إحساسه في جهة أخرى بأنَّ الحاجات والضرورات إنما تُنكد على الحيّ حياته .

يقول في وصف الربيع :[١]

نزلتْ مقدِّمـةُ المَصِيـفِ حميـدةً

ويــدُ الشِّتــاءِ جديــدة لا تُكفّــرُ[٢]

مطرٌ يذوبُ الصحوُ منه وبعـدَه

صحــوٌ يكـاد مـن الغضارة يُمطـرُ[٣]

---

١ الأدب والنصوص ، للصف الثاني الثانوي ١٩٨١ ف ، ص ١٣٥ .

٢ تكفر : تستر وتجحد .

٣ الغضارة : شدة الخضرة .

مـا كـانت الأيَّـامُ تسلبُ بهجـةً
لو أنَّ حُسنَ الرَّوض كان يُعمَّـرُ
يـا صـاحبيَّ تقصَيـا نظـريكُمَـا
تريا وجوهَ الأرضِ كَيفَ تُصَـوَرُ
تريـا نهـاراً مشمسـاً قـد شابَهُ
زهـرُ الرُّبـا فكـأنـهُ هُـوَ مُقمِـرُ

وعلى هذا يمكن القول إنَّ الشعر العربي ألمَّ بالتجارب الرومانسية على مستويات مختلفة وإنَّه غلَّب الانفعال على العقل في مواضع ، إلا أنَّه لم يقم على ذلك ويتخذه كمذهب مطلق وحيد كما فعل الرومانسيون الغربيون ، وفضلاً عن ذلك فإنَّ طبيعة الصورة ظلت غالباً في الحدود الكلاسيكية المأثورة .

فالرومانسية الأولى - وإن لم تكن حركة معروفة أوان ذاك - إلا أنها كالحركة الرومانسية المذهبية فجّرت اللفظة التي كانت غالباً لفظة حسية وعقلية ، واللفظة النفسية مليئة بالذكريات والعاطفة الواضحة والغامضة .